الفصل الثالث

فن اليوميات الصحفية

obeikandl.com

obeikandl.com

لمحة تاريخية:

انتشرت اليوميات الصحفية فى الصحافة العالمية والعربية فى النصف الأول من القرن العشرين، إلا أن الكثير من الصحف بدأت تتخلى عنها فى الربع الأخير من ذلك القرن. وكانت الأهرام فى السبعينيات من القرن العشرين قد اهتمت بهذا الفن عندما تولى يوسف السباعى رئاسة مجلس إدارة الأهرام فاستكتب عدداً كبيراً من الكتاب الذين تناوبوا كتابة اليوميات على مدار الأسبوع وكانت هذه اليوميات تنشر فى صفحة يومية تحمل عنوانًا ثابتًا هو «مفكرة الأهرام» كان يكتب فيها عبد الرحمن الشرقاوي، د. زكى نجيب محمود، د. يوسف عز الدين عيسى، د. يوسف إدريس، سعد الدين وهبه وثروت أباظة.

ثم اختفت صفحات المفكرة من الأهرام، وحلت محلها صفحة للكتاب ابتعدت عن طابع اليوميات.

أما فن اليوميات الحقيقى فالجريدة التى تحتفظ به حتى الآن هى جريدة «الأخبار» والتى تنشر يوميات لنخبة كبيرة من الكتاب منهم: محمد زكى عبد القادر، سناء فتح الله، إسماعيل النقيب، جمال الغيطاني، وجيه أبو ذكرى ، عبد الرحمن الأبنودي، نعم الباز، حسن شاه، وسعيد إسماعيل، إضافة إلى يوميات الجمعة للشيخ متولى الشعراوى رحمه الله. وكان يكتب هذه اليوميات بالأخبار محمود عباس العقاد رحمه الله.

تعريف اليوميات:

اليوميات الصحفية .. ليست فى حقيقة الأمر سوى مجموعة من الأعمدة الصحفية يكتبها كاتب واحد، ومرة واحدة فى الأسبوع، فالفقرات التى تضمها اليوميات، إذا أخذت كل منها على حدة، لما اختلفت كل فقرة منها عن العمود الصحفى فى شيء ، سواء فى موضوع اليوميات أو لغتها، أو فى بناءها الفنى القائم على الهرم المعتدل. فموضوعات اليوميات الصحفية يمكن أن تستوعب السياسة والاقتصاد والاجتماع، وقضايا الفكر والفن والأدب، وكذلك مشاكل الناس وهمومهم(١).

(١) د. فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص٢٠٩.

وهناك تعريف آخر لفن اليوميات الصحفية يرى أن «فن اليوميات» الصحفية يقترب من روح العمود الصحفى من حيث التعبير عن خوالج النفس، وروح المذهب الذى يعتنقه الكاتب، ونظرته إلى الحياة، حيث يسجل فى هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التى تؤثر فى القارئ، وهى خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أن فن اليوميات الصحفية يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه، لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتى نأتى بالنتيجة وراء سببها، بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان فى خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته»(١).

ويماثل اليوميات الصحفية الأسبوعيات التى تنشرها الصحف الأسبوعية والتى يتناوب أيضًا كتابتها بعض الكتاب والأدباء. وهذا ما تفعله جريدة «أخبار اليوم» الأسبوعية التى تصدر كل يوم سبت، حيث تنشر أسبوعيات فى صفحتها الأخيرة، وجريدة «العربي» الناصرية، وجريدة «الرأي» التى تصدر عن دار الشعب وهى جريدة قومية تصدر كل يوم اثنين، وكانت «الأهالي» تفعل نفس الشيء قبل أن يتولى رئاسة تحريرها نبيل زكى.

أسلوب كتابة اليوميات الصحفية

يتميز أسلوب اليوميات الصحفية بالبساطة والحديث الودى بين الكاتب والقارئ، حيث يكتب وكأنه يتسامر مع صديق له، فينتقل من موضوع إلى آخر فى رفق ، وقد لا يكون هناك رابط بين الموضوعات التى يتحدث فيها، وهذا شأنه شأن الحديث اليومى بين الأصدقاء الذين تشغلهم عدة قضايا وليست قضية واحدة.

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفى ينبغى أن يترك آراءه الخاصة عند باب صالة التحرير، أو عند باب مكتبه، ويخلعها دائمًا كما يخلع معطفه، حتى إذا ما انتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التى يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه. إلا أن هذا الرأى إن كان ينطبق على محررى الأخبار والموضوعات الصحفية، وكتاب المقالات الافتتاحية فإنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن ينطبق على كتاب اليوميات.

لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبى من حيث العناية باختيار الألفاظ وحلاوة

(١)د. عبد العزيز شرف، مرجع سابق ، ص٣٦٦.

الأسلوب، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة، فهى تقدم صوراً نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعاني، وهى تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع، وكل ذلك يتطلب مقدرة لغوية عالية وحس أدبى راق.

ويبين النموذج التالى طريقة كتابة فن اليوميات الصحفية، كتبها الكاتب الصحفى سعيد إسماعيل بجريدة الأخبار[1].

يوميات الأخبار يكتبها اليوم سعيد إسماعيل

***** ولم يكن غريبًا أن ينتهز معاوية فرصة الصراع على الخلافة الذى نشب بين على بن أبى طالب وبين طلحة والزبير ومن ناصرهما*****

كان ياما كان فى قديم الزمان!

.....

يقدم الكاتب ليومياته والتى كتبها تعبيراً عن رأيه فى وفاة الأسد وتولية ابنه بشار رئيساً لسورية - وإن كان لم يشر إلى هذا الموضوع صراحة، فإن اختياره ليكتب عن معاوية بن أبى سفيان وكيف حول الخلافة الإسلامية إلى نظام ملكى يورث - بسطرين فقط يحملان خلاصة ما يريد أن يقول. وهذا يؤكد ما نذهب إليه.

تتضمن اليوميات ثلاث موضوعات أو ثلاث فقرات، فى الفقرة الأولى تناول موضوع الخلافة وكيف حولها معاوية إلى نظام ملكي، ووضعها تحت خواطر يوم السبت، ويتماثل البناء الفنى لهذه الفقرة مع البناء الفنى للعمود الصحفي: فقد جاءت المقدمة ممهدة للموضوع حيث قال:

.....

السبت:

كان معاوية بن أبى سفيان داهية من دواهى العرب، يجيد المراوغة، والخداع، ويعرف جيدًا كيف ومتى يضرب ضربته ليتحقق له ما يريد..

وعندما جعله عمر بن الخطاب واليًا على دمشق أحاط نفسه بالأعوان من وجهاء أهلها وأغدق عليهم من بيت المال فقويت شوكته بهم.. وبعد

(١) جريدة الأخبار ، ٢١ يونيو ٢٠٠٠.

مقتل عمر وتولى عثمان بن عفان - الأموى - الخلافة أصبح معاوية واليا على الشام، التى كانت تضم فى ذلك الوقت دمشق وحمص والأردن، فاتسعت دائرة نفوذه، واشتعل طموحه، وبدأ يعد عدته ليحقق مزيدا من الجاه، والسلطان فبنى جيشا ذا قوة وبأس.

.....

وتضمن جسم الموضوع الأول ما يؤكد ويوضح سعى معاوية «لتحقيق أهدافه فيقول:

ولم يكن غريبا أن ينتهز معاوية فرصة نشوب الصراع علي الخلافة بين على بن أبي طالب، الذي تمت مبايعته وبين طلحة والزبير ومن ناصرهما، فأعلن أنه لن يبايع عليًا ، وهو علي يقين من أن الخليفة الجديد سيخوض أولاً المعركة مع طلحة والزبير.. وأن المنتصر في هذه المعركة سيخرج منها منهكا ، وعندئذ ينقض عليه بجيشه القوي وينتزع الخلافة لنفسه!!

وقد كان .. وقعت المعركة، وسقط المسلمون من الجانبين قتلي وجرحي، ليتحقق النصر لعلي ومن معه، ولتنشب بعد ذلك حرب جديدة بين جيش علي وجيش معاوية الذي نجح في انتزاع النصر بالخديعة، ليصبح ابن أبي سفيان خليفة للمسلمين بحد السيف .. وليستحدث في الإسلام بعد ذلك ما غير به السنة التي كانت سائدة تغييرا خطيرا عندما انتزع لابنه يزيد البيعة ليكون وليا للعهد ثم خليفة للمسلمين بعد وفاته..

لقد كان المسلمون في صدر أيامهم يكرهون وراثة الخلافة، ويصرون علي اختيار من هو أهل لها ويبايعونه.. أبو بكر أول الخلفاء عهد بها إلي عمر بن الخطاب ولم يعهد بها لواحد من أبنائه .. وعمر بن الخطاب نهر من طلب إليه أن يعهد بالخلافة لابنه عبد ا من بعده.. وكذلك فعل عثمان بن عفان.. أما علي بن أبي طالب فقد أبي هو الآخر أن يستخلف أحدا من أبنيه الحسن والحسين، وقال لمن سألوه «أترككم كما تركككم رسول ا».. لكن معاوية كان عبدا لطموحاته وأطماعه!

.....

وهكذا اختتم كاتب اليوميات الفقرة الأولى منها بعبارات تؤكد ما قاله فى مقدمة الفقرة عن طموح معاوية بن أبى سفيان الذى كان عبداً لطموحاته وأطماعه.

وجاءت الفقرة الثانية في هذه اليوميات مرتبطة أو متعلقة بالفقرة الأولى وإن كان الفاصل الزمنى للأحداث التى يتحدث عنها فى الفقرة الثانية كبيراً بما لا يقل عن أكثر من ألف عام. ولكن مكان الحدثين واحد، وهو القطر العربى الشقيق «سورية» واختار لهذه الفقرة عنوان «مشهد لن أنساه» قدم له بمقدمة مختصرة قال فيها:

الأحد:

كنت فى دمشق عندما وقع الانقلاب العسكرى فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦١ ضد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة».

وفي جسم الفقرة يروي حقيقة ما حدث مصوراً بطريقة الحوار تفاصيل الانقلاب العسكري الذي وقع ضد جمال عبدالناصر والوحدة مع مصر:

«فى السابعة من صباح ذلك اليوم المشئوم، قطع راديو دمشق إرساله المعتاد ليذيع البيان رقم واحد الذى أعلنه ضباط الانقلاب بعد أن تمت لهم السيطرة على مدينة دمشق بمصفحاتهم ودباباتهم .. الناس فى ذهول.. والحركة فى الشوارع، لم تكن كالمعتاد.. الدكاكين مغلقة والسيارات قليلة.. انقلاب.. هل هذا معقول؟ .. ضد من؟ .. ضد جمال عبد الناصر؟ .. ضد الوحدة؟!!

بعد دقائق أذاع الراديو البيان الثانى ثم عاد إلى بث المارشات العسكرية.. وفى الثامنة انطلق البيان الثالث لتعود بعده المارشات العسكرية.. وفى مثل هذه الأحداث لا يستطيع المرء سوى الجلوس بجانب جهاز الراديو، أو الاتصال تليفونيًا ببعض الأصدقاء ، والزملاء .. نعم انقلاب عسكرى .. راديو لندن يقول ذلك، وراديو إسرائيل يؤكده، وراديو عمان يعيد إذاعة البيانات، وراديو صوت العرب لا يشفى الغليل..

ومر الوقت بطيئاً مرهقاً .. وعندما أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة بدأت

الحركة تدب فى الشوارع لكن الدكاكين لا تزال مغلقة .. ارتديت ملابسى واتجهت إلى مكتب أخبار اليوم فى سيارة تاكسى.. المكتب يقع فى الطابق الثالث من بناية الحايك التى تطل على ساحة جسر فيكتوريا الذى يتوسط دمشق .. الحركة عادية إلا من ثلاث عربات مصفحة محملة بجنود مسلحين بالرشاشات.. ودبابة تقف أمام مبنى البريد .. ودبابة أخرى أمام محطة سكة حديد الحجاز..

فى المكتب شاهدت وجه السكرتيرة شاحبا ، وثلاثة من الزملاء واجمين..

– ماذا حدث؟

– انقلاب.

– من قام به؟..

– .....

– ماذا يريدون؟

– .....

وتوقفت المارشات العسكرية ليذيع الراديو برقيات تأييد من بعض القطاعات العسكرية وبرقيات أخرى من بعض الجهات المدنية .. ثم البيان الرابع .. ثم مارشات عسكرية .. وفى حوالى الواحدة ظهرا ترامت إلينا هتافات .. اندفعنا جميعا نحو الشرفة .. مظاهرة لا يزيد عدد المشاركين فيها على مائة شخص يحملون أعلام سوريا ويهتفون بحياتها..

– حلب لا تؤيد الانقلاب والمظاهرات تطوف شوارعها حاملة صور جمال عبد الناصر وأعلام الجمهورية العربية المتحدة..

هكذا قال أحد الزملاء وهو يضع سماعة التليفون..

– من قال لك؟

– مكتبنا فى حلب..

– والجيش هناك ؟..

– والجيش لا يؤيد الانقلاب..

– اطلب القاهرة وأبلغهم الخبر..

وحاول الزميل طلب القاهرة ، لكنه لم يفلح..

وأذاع الراديو مزيداً من برقيات التأييد للانقلاب، ثم البيان الخامس، ثم موسيقى عسكرية، ثم البيان السادس، ثم برقيات تأييد، ثم البيان السابع، ثم موسيقى عسكرية، ثم البيان الثامن .. ثم موسيقى عسكرية تتخللها فترات توقف لإذاعة برقيات تأييد..

وفى الساعة الثالثة والنصف اندفعنا إلى الشرفة مرة أخرى على صوت هتافات هادرة، لنرى الساحة تزخر بمئات المتظاهرين تتوسطهم سيارة نصف نقل صغيرة تحمل تمثالاً نصفيًا لجمال عبد الناصر تتدلى على صدره فردة حذاء معلقة بحبل مربوط حول عنقه ، والأعلام السورية ترفرف فوق الرءوس .. مشهد رهيب لا يمكن أن تمحوه الأيام من الذاكرة .. سبحان الله هذه الجماهير حملت السيارة التى كان يستقلها جمال عبد الناصر ذات يوم وهى تهتف بحياته .. رأيت ذلك بعينى فى نفس هذه الساحة.. سبحان الله!!

وفجأة..

توقفت الهتافات .. وحدث بعض الهرج.. وصعد أحدهم إلى السيارة ، وقطع الحبل، ورمى فردة الحذاء إلى أقصى ما يستطيع، وهتف بحياة جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة والوحدة . ولم يلبث المشاركون فى المظاهرة أن رددوا الهتاف بعده..

– ماذا حدث؟..

قالت السكرتيرة:

– انتهى الانقلاب.. البيان التاسع أعلن استجابة الرئيس عبد الناصر لمطالب قادة الانقلاب ، وأنهم أصدروا أوامرهم للقوات المشاركة فى الانقلاب بالعودة إلى ثكناتها..

قلت:

– وهؤلاء الأوغاد الذين كانوا يهتفون بسقوط جمال عبد الناصر، كيف انقلبوا إلى النقيض فى دقائق ؟..

فقال أحد الزملاء وهو غارق فى الضحك:

-إنها الجماهير يا عزيزى تجمعها زمارة ، وتفرقها هراوة!!

.....

ويصل إلى خاتمة الفقرة، ورغم أنه أيضًا لم يشر إلى ما حدث مؤخراً فى سورية إلا أنه اختار عبارة تؤكد أمله فى أن تبقى سورية، وقد استعار لخاتمة فقرته سطور من خطاب للرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى أعقاب هذا الانقلاب.

«وهدأ كل شىء لكن الدبابات والمصفحات لم تنسحب من مواقعها، والراديو لم يعد إلي برامجه العادية، واتضح من البيان العاشر الذي أذيع بعد أربع ساعات أن البيان التاسع كان خدعة.. وأكد ذلك الرئيس جمال عبد الناصر بصوته من راديو القاهرة وراديو صوت العرب، وهو يعلن مقولته المشهورة «ليس مهمًا أن تبقي سوريا جزءًا من الجمهورية العربية المتحدة» ولكن المهم أن تبقي سوريا» ..

لا أعرف لماذا تذكرت كل ذلك دون مناسبة ، لكنى تذكرته فجأة!!

.....

أما الفقرة الأخيرة من هذه اليوميات والتى جعلها خاطرة يوم الإثنين فقد جاءت بعنوان «ماذا تريد الجزيرة»؟ وهو ينتقد فيها موقف قناة الجزيرة التليفزيونية التى تبث من دولة قطر، وهجومها المتكرر على مصر، وقد بدأ هذه الفكرة بصيغة استفهامية حيث يقول:

ماذا تريد الجزيرة؟

الإثنين:

«لا أعرف لماذا تنفرد فضائية «الجزيرة» القطرية بكل ما يشكك فى مصر وأمنها.. بمنتهى الغل والحقد والكراهية ؟»

أما جسم الفقرة فقد تضمن الأدلة التي توضح تحامل قناة الجزيرة الفضائية علي مصر، وموقفها المعادى منها حيث يقول:

«كانت الوحيدة التى رددت ما أعلنه عمر عبد الرحمن مفتى القتل والدم والإرهاب، من زنزانته فى أحد سجون الولايات المتحدة الأمريكية ونقلته محاميته، من أنه قرر إنهاء الهدنة مع نظام الحكم فى مصر وأصدر أوامره إلى جماعته باستئناف عمليات الإرهاب والتخريب وقتل الأبرياء.

إذا كان «المفتى» الكفيف قد فقد صوابه، واختل عقله نتيجة الحبس الانفرادى ، ويصور له خياله المريض أنه لا يزال زعيماً لأتباع يطيعون أوامره دون نقاش أو اعتراض، فما عذر «الأفاضل» الذين يهيمنون على تلك الفضائية؟

وإذا كان أولئك «الأفاضل» يقبضون من جهة ما مقابل الإساءة إلى مصر، فلماذا يترك لهم المسئولون فى قطر الحبل على الغارب؟..

أعرف أنهم سيقولون «الجزيرة» تمارس حرية التعبير وأنه لا قيد على تلك الحرية فى قطر..

وأقول يا سلام!! وهل تجرؤ «الجزيرة» على ممارسة حرية التعبير لو كان عمر عبد الرحمن قطريًا وعصابته موجودة فى الدوحة؟.. أم أن الحرية فقط فى التهجم على مصر والترويج لكل ما يسىء إليها وإلى شعبها؟!»

.....

ويختتم الكاتب الصحفي سعيد إسماعيل هذه الفقرة أيضًا بتساؤل حول ممارسته الحرية، وهل يمكن أن تفعل الجزيرة ذلك مع أي شأن قطري؟ أم أن الحرية هي فقط أن تهاجم مصر؟

.....

يبين لنا النموذج السابق لفن اليوميات الصحفية ، كيف يمكن أن تضم اليوميات أكثر من خاطرة أو موضوع يكتب عنه الكاتب، حتى ولو لم تكن هناك رابطة بينهما، وأن الأسلوب الأدبى هو الطابع الغالب على كتابة اليوميات، وإن كانت تكتب بلغة سهلة وبسيطة، ويعتمد ذلك على أسلوب وطريقة كاتبها فى تناول موضوعاته، وتقترب اليوميات من العمل الأدبى من حيث الأسلوب الرمزى الذى يمكن أن يلجأ إليه الكاتب، كما فعل «سعيد إسماعيل» فى هذه اليوميات فقد رمز بما ما فعله «معاوية بن أبى سفيان» إلى ما فعله الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد، وهذا أسلوب يلجأ إليه بعض الكتاب للتعبير عن أفكارهم بشكل غير مباشر، ويتركون للقارئ أن يكتشف ذلك من خلال الرمز.